

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

□ ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِ كُمْ وَتَقُولُونَ  
بِأَفْوَهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتُحْسِبُونَهُ  
هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور ، ١٥] .

□ « وَهَلْ يَكُتُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ  
إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟! » .

□ رَبِّ كَلِمَةٍ قَالَتْ لَصَاحِبِهَا : دَعْنِي !



إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ  
شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ  
يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .  
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَمَّا بعد :

فهذه رسالة قد زَبَوْتُهَا إجابةً على إشكالي فَرَضَهُ واقعُ أليَمٍّ عاشَهُ بعضُ أفراد

الأُمَّة، وتناقلوه بينهم بحقدٍ بالغٍ وجَهْلٍ سابغٍ !!

وإنَّ من الإنصافِ - قبلَ الإجابة عن السؤال الذي هو عنوانُ رسالتنا - أن

نتعرَّف شيئاً من سيرة الشيخ، تَضَعُنَا أمامَ حُكْمٍ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ؛ صوابٍ أو قريبٍ من  
الصَّواب، حينَ نَقِفُ على فتوى من فتاواه، أو رأيٍ من آرائه، ينتهي إلى أَسْمَاعِنَا،  
أو يَصِلُ إلى أبصارنا بنقلٍ أمينٍ، من ثقةٍ، ثَبِتَ، عدلٍ، ضابطٍ في عقله - بريٍّ  
من الهوى وَحُبِّ ( الأنا ) -، عن مثله إلى نهاية الطريق الوَاصِلِنا بهذه الفتوى،  
أو بهذا الرأي .

وبخاصةٍ في زماننا هذا، الذي نَهَدَتْ فيه رغائبُ الأُمَّة إلى شِعَابِ التفرُّقِ

والأَهْواءِ، واستطالت فيه آراءُ العقولِ من غيرِ هُدى ولا كتابٍ منيرٍ، واعتسفت  
فيه مائِداثُ السوءِ بالناسِ إلى سرايٍ بَقِيعةٍ، فصاروا إلى ضياعٍ في الحقِّ، وإقلايٍ

في الورع، وتكاثر من الباطل، فأضحوا - كما قال عليه الصلاة والسلام - :  
« كإبل معة لا تكاذ تجد فيهم راحلة » .

والشيخ حفظه الله - في زماننا هذا - راحلة علم عالية السنام، تامة الخلق، متماسكة البناء، تغدو إليها راحل العلم خفافاً خماصاً، وتروح عنها ثقلاً بطناناً، فقد أنعم الله عليه بعلم، أوثقه إلى القرون الأولى، وأقامه على جادتها، وأراه فيها من آيات العلم الكبرى، فكان إزاماً عليها أن تقصده في رغبة مفسطة تعرف له بها حقاً لا تؤدبه إيائه، إلا أن تأتيه بهذه الرغبة، فلا يرتد طرفها عنه إلا بأخذها منه حظاً وافراً، تعرف به أنه حظ لا يكون إلا منه، وأن الشيخ ما نيل منه بأذى ولا ينال - إن نيل - إلا بسببه، فالحسد في الناس قديم، وكان لا يحسن أن ينال من الشيخ من أمته به، لكن، حين أقعدها الحسد، وفنكت شوآه بأسباب العزة فيها، وضلها غرورها، وجدت نفسها موثوقة إلى عجزها، ولم ترفي الشيخ إلا ظللاً عارضاً، وقديماً قيل : « وما آفة الأخبار إلا رواتها ! »

وما حل بالأمة على يد فقهاؤها في هذا العصر، وما نال منها أعداؤها على يد أشياخها؛ لم يأت - ولن يأتي - لها بخير، وحين تبصر من نفسها، - وتفتن - إلى أنها منكرة جاحدة نعمة الله عليها، إذ تمسك عن الإفادة من علم الشيخ، والإقبال على مجالسه، والتواضع عنده، فإنها حينئذ تكون قد عرفت للعلم قدره، وللعالم حقه، ورسول الله ﷺ يقول : « ليس منا من لا يعرف لعالمنا حقه » .

وإنَّ تَتَابَعِ الإِغَارَةَ عَلَى الشَّيْخِ، مِمَّنْ يَنْسَبُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى الْعِلْمِ لَا يُنْبِئُ إِلَّا عَنْ فُسَادٍ وَشَرٍّ، وَرَغْبَةٍ فِي الْإِمْنَعَانِ بِالْبَاطِلِ، وَرَغْبَةٍ عَنِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ بَدَايَاتِهِ، وَالظَّنِّ الشَّيْءِ بِالْمُسْلِمِ فِي نَفْسِهِ وَفِي غَيْرِهِ، وَإِلَّا فَمَا الَّذِي يَخْجِزُهُمْ عَنِ لِقَايَاهُ، وَنُضِجِهِ مِنْ قَرِيبٍ إِنْ كَانُوا يَرُونَ مَا يَسْتَوْجِبُ النَّضِجَ لَهُ، وَالتَّعَرُّفَ إِلَى مَنْهَجِهِ الْعِلْمِيِّ ١٢

وَلَيْسَ يُنْبِئُ عَنِ الشَّيْءِ مِثْلُهُ !! أَوَلَمْ يَرِ أَوْلَئِكَ الْأَشْيَاخُ فُسْطَاطَ عِلْمِ الشَّيْخِ يَمْتَدُّ وَيَمْتَدُّ كُلُّ يَوْمٍ، وَيَأْوِي إِلَيْهِ الْأَلُوفُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَلِ الْمَلَائِينَ الَّذِينَ اسْتَنَارَتْ بِصَائِرِهِمْ بَنُورَ الْحَقِّ، وَهَدُّوا إِلَى سَوَاءِ الْقَصْدِ، حِينَ أُلْهِمُوا أَنْ يَنْتَهَلُوا مِنْ عِلْمِ الشَّيْخِ فِي كِتَابِهِ، وَرِسَالَتِهِ، وَتَسْجِيلَاتِهِ، مِنْ بَعِيدٍ وَمِنْ قَرِيبٍ، فِي حِينَ يَرَوْنَ ( الْمَشَايِخَ ) وَ ( الْأَشْيَاخَ ) وَ ( الشُّيُخَةَ ) وَ ( الْمَشْيُوخَاءَ ) يُصِرُّونَ عَلَى عِدَاوَتِهِ، وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ، وَتَجْرِيجِهِ، وَالْقَوْلِ فِيهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى !

إِنَّهَا - وَاللَّهِ - الْفِتْنَةُ، فَتْنَةُ النَّفْسِ الْأُمَّارَةِ !! الْقَرَّارَةُ الْجَوَّارَةُ !! الْبَوَّارَةُ

الْمَوَّارَةُ !!

لِأَنَّهَا أَمْشَاجُ الْعِلْمِ تَتَهَارَشُ فِي رَذَخَةٍ خِلَافِ التَّعَصُّبِ، مِنْ بَعْدِ تَلَكُمِ الْمَنَارَاتِ الَّتِي عَلَتْ فِي سَمَاءِ الْقُرُونِ، وَضُوءَاتِ آفَاقِ الْحَيَاةِ، وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهَا رِكَائِبُ طُلَّابِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ كُلِّ الْأَقْطَارِ، تَنْهَلُ مِنْ مَعِينِهَا الشَّرَّ الصَّافِي مَا يُغْنِيهَا عَنِ تَلَمُّسِ الْيَسِيرِ مِنْهُ، فِي غَيْرِ الْمَدِينَةِ، وَدَمَشَقٍ، وَالْقَاهِرَةِ، وَبَغْدَادٍ، وَقَرْطَبَةِ، وَصَنْعَاءَ، وَبَيْتِ الْمَقْدَسِ .

فَلِلَّهِ تَلَكُمُ الْيَوْمَ وَالْأَمْصَارُ، وَيَا حَسْرَةً عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِيهَا الْقُرُونُ  
وَالْأَحْقَابُ مِنْ بَعْدُ !!

وَلَكَأَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ أَرَادَ بِيَلَادِ الشَّامِ خَيْرًا حِينَ قَضَى أَنْ يَجْعَلَ وَاحِدًا مِنْ  
مُهَاجِرَتِهَا كُفْوًا لِأَوْلَئِكَ الْأَعْلَامِ السَّابِقِينَ، فَيَضَعُ عَلَى مَنْكِبِهِ رِءَاءَ عُلُومِ السُّنَّةِ؛  
فَيَكُونُ الْإِمَامَ الْمَقْدَّمَ فِي عَصْرِ أَجْدَبَتْ فِيهِ الْأَرْضُ مِنْ مِثْلِهِ، وَأَبَتْ - حَتَّى عَلَى  
نَفْسِهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا - أَنْ يَكُونَ لَهُ نَدٌّ إِلَّا نَفْسُهُ، فَمَا رَأَتْ عُيُونَ الْمُنْصِفِينَ فِي  
عَصْرِهِ مِثْلَهُ، وَإِنْ كَرِهَ الشَّائِثُونَ، وَخَارَتْ أَصْوَاتُهُمْ، وَبَرِمَتْ بِهِمْ نَفُوسُهُمْ مِنْ غِلٍّ  
أَثْقَلَهَا، وَمِنْ حَسَدٍ أَقْعَدَهَا، وَمِنْ رَوَغَانٍ عَنِ الْحَقِّ أَبْعَدَهَا !!

لَقَدْ أَعَادَ الشَّيْخُ حَفْظَهُ اللَّهُ عَيْبَةَ الْعِلْمِ مَلَأَى، بِصَدَقِ رَغْبَتِهِ، وَجَلَادَةِ  
نَفْسِهِ، وَثُقُوبِ بَصَرِهِ، وَطُولِ مُعَانَاتِهِ، وَعَزَمَهُ أَنْ تَعُودَ سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى  
الظُّهُورِ مِنْ جَدِيدٍ فِي الْأُمَّةِ، لِتَكُونَ مَوْثِلَ الْعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ، وَمَرْبَدَ الْعُقُولِ،  
وَمُزْدَحَمَ الْعَزَائِمِ، وَدَارَةَ الْحَقِّ وَالْهَدَى .

وَقَدْ كَانَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَنَذَرَ نَفْسَهُ لَهُ - جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا - سَبِيلًا وَمَهْيَعًا  
سَعَى بِهِ إِلَيْهِ فِي دَارِهِ فِي عَمَّانَ - عَمَّنَ اللَّهُ الْخَيْرَ إِلَيْهَا، وَدَامَ مَقَامُهُ عَلَى جِبَالِهَا  
وَوُدْيَانِهَا - وَدَارِهِ فِي دِمَشْقِ الشَّامِ - أَرَى اللَّهَ بِفَاسْقِيهَا وَأَعْلَى قَدَرِ صَالِحِيهَا -  
طُلَّابِ الْعِلْمِ، زُرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا، يَسْمَعُونَ مِنْهُ فَيُغْنِيهِمْ عَنْ سِوَاهُ، وَيَأْخُذُونَ مِنْهُ  
فَلَا يَسْأَلُونَ أَحَدًا بَعْدَهُ، - لَا لَذَاتِ شَخْصِهِ وَإِنَّمَا لِأَفْقِ عِلْمِهِ -؛ فَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ  
لَهُ الْحُبَّ فِي قُلُوبِهِمْ، وَالثَّقَّةَ بِعِلْمِهِ فِي عُقُولِهِمْ، فَأَنَالُوهُ مِنْ حُبِّهِمْ، وَأَنَالَهُمْ مِنْ

علمه كِفَاءَ هذا الحُبِّ، وسارت كلماته وفتاواه وأقواله في الأرض مسيرَ الليل والنَّهار، وأَنارَ اللهُ بها عُقُولاً وقلوباً، وأحلَّها منها مُقَاماً رَضِيّاً؛ لِمَا رَسَخَ فيها مِن منهجِ الدليل، الرافضِ لِحُضِّ الأَقَاوِيلِ، دونِ تَعْصِبِ مَقِيَّتِ، ولا تَقْلِيدِ مُمَيَّتِ !

وهنا لم يَعدْ في وُشْعِ زَعَانِفَةِ العِلْمِ، وخِفافَةِ البَالِيَةِ، وطِيَالِسِهِ المُهْتَرِئَةِ أَن يَصْبِرُوا، فَاجْمَعُوا أَمْرَهُم بَلِيلَ، وَأَوْجِفُوا عليه بِفَحِيحِ أَصْوَاتِهِمْ في نهارٍ، وَأَوْضَعُوا بِمَكْرِهِمْ في المَكْتَبَاتِ ودُورِ النُّشْرِ سرّاً وعلانيةً، وتواصَوْا فيما بينهم بِوُجُوهِ مُكْفَهَرَةٍ عَابِسَةٍ - تَارَةً - وبُجُوهِ مُسْفَرَةٍ ضاحِكَةٍ - تَارَةً أُخْرَى -؛ لِكَأَنَّمَا غُيِّبَتْ عَنْ عِيُونِهِمْ عَدَاوَاتُ مُجْتَمَعَةٍ، وعن أَسْمَاعِهِمْ جَلْبَتَةُ أَصْوَاتِ أَعْدَاءِ الأُمَّةِ مُتَعَالِيَةٍ، ولم يَبْقَ أَمَانَتُهُمْ إِلَّا صُورَةُ ذَلِكَ الشَّيْخِ، ولم يَقَعْ في أَسْمَاعِهِمْ إِلَّا صَوْتُهُ - لِأَنَّهُ بَقِيَّةُ جِيلٍ عُذُولِ الأُمَّةِ النَّافِينَ عَنْهَا الْجَهْلَ والتَّحْرِيفَ والانتِحَالَ -، فراحوا - لَوَاسِعِ جَهْلِهِمْ - يَمْكُرُونَ بِهِ، وَيُمْنَعُونَ في مَكْرِهِمْ، وَيُؤَلَّبُونَ عليه وَيُصِرُّونَ على إِذَابَتِهِ، وَيَكْذِبُونَ عليه، وَيَرَوْنَ في كَذِبِهِمْ قُرْبَةً يُؤْغِرُونَ بها صُدُورَ مَنْ لَانَتْ لَهُمْ قَنَاءُ الفِتْنَةِ، وَيَأْتُونَهَا مِنْ غَيْرِ تَلَبُّثٍ، يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ، فَإِنْ أَصَابَهُمْ مِنْهَا شَرٌّ أَعْرَضُوا وَتَأَوَّاهَا عَنْهَا، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مِنْهَا خَيْرٌ أَقْبَلُوا وَدَنَوْا مِنْهَا، شَأْنُهُمْ فِي ذَلِكَ شَأْنُ مَنْ عَنَاهُم اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَزْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ .

ولقد علموا في أَنفُسِهِمْ أَنَّ مِرْقَاةَ عِلْمِ الشَّيْخِ صَعْبَةٌ، فَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ

أَنْ يَتَّسِبُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَهُمْ لِيَنَالُوا مِنْ عِلْمِهِ، وَمَا كَانَ لِيَتَّصِرَ عَلَيْهِمْ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْهُ، إِنْ هُمْ أَخْلَوْا عَقُولَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ مِنَ الْهَوَى، وَالْكِبَرِ، وَالْحَسَدِ، فَيَكُونُ لَهُمْ مِنْهُ حِظٌّ وَافِرٌ سَمَاعاً وَتَلْقِياً، كَذَلِكَ الَّذِي كَانَ لَهُمْ مِنْ كُتُبِهِ وَمُؤَلَّفَاتِهِ الْكَثِيرَةِ، الَّتِي مَلَأَتْ طَبَاقَ الْأَرْضِ، وَشَهِدَ بِفَضْلِهَا عُقْلَاءُ النَّاسِ، حَتَّى فِي دِيَارٍ غَيْرِ دِيَارِ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا مِمَّا يَزِيدُ فِي حُزْنِ النَّفْسِ، وَيُزِيي مِنْ أَسَى الْقَلْبِ، أَنْ يَجِدَ الشَّيْخُ النَّصْفَةَ وَالتَّقْدِيرَ فِي أَصْقَاعِ الدُّنْيَا، وَسَهَامِ الْمَشَايخِ ( الْمَشَايخِ ) تَنَالُ عَلَيْهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَيَكُنُّ الشَّيَاطِينَ لَمْ تَجِدْ مِثْلَ أَلْسِنَتِهِمْ وَأَقْلَامِهِمْ وَدَفَاتِرِهِمْ، لِشَيْلِ الشَّيْخِ حَسَنَاتِهِمْ وَتُذْهِبَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَهَا مَأْوَى أَحْسَنَ مِنْهُمْ !!!

لَقَدْ - وَاللَّهِ - أَذْكَرَ عِلْمُ الشَّيْخِ بِعِلْمِ السَّابِقِينَ - وَلَوْ كَانَ فِي زَمَانِهِمْ، لَعَرَفُوا لَهُ قَدْرَهُ - فَأَبْلَسَ هَؤُلَاءِ الْمَشَايخُ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يُذَكَّرُونَ إِلَّا فِي زَمَانٍ صَوِّحَتْ فِيهِ الْأَرْضُ إِلَّا مِنْهُمْ !! فَزَادُوهَا جَذْباً إِلَى جَذْبٍ، وَكَانُوا فَخْرَهَا حَيْثُ لَا فَخْرَ لَهَا وَنَحِيْبَتَهَا الَّذِي لَا يُسْمَعُ !! نَعَمْ؛ أَذْكَرْنَا عِلْمُهُ بِعِلْمِ السَّابِقِينَ الَّذِينَ اسْتَقَرُّوا فِي عَقْلِ الزَّمَنِ، وَطُوِّفَتْ آثَارُهُمْ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ، وَأَمْضَوْا عَلَى الْحَيَاةِ عَهْداً أَنْ تُخْلِدَهُمْ مَا دَامَتْ تَمُدُّ الْأَحْيَاءَ بِذِكْرِهَا، فَكَانَ حَقّاً عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ مِنْ الْمَشَايخِ أَنْ يَكُونُوا لَهُ بِالْوَفَاءِ عَلَى دُرُوزَةِ سَنَائِهِ، لَا أَنْ يُوسَّعُوا لَهُ فِي صُدُورِهِمُ الْمُعْتَمَةِ، حَقْداً، وَطَعْناً، وَإِفْكَاً، فَيَكُونُوا عَلَى وَاجِزَةِ الْإِثْمِ، تُرْضِيهِمْ بِسَافِكِ الطَّاعَةِ، وَتَسْقِيهِمْ مِنْ حَمِيمِ الْإِفْكَ الْآسِنِ، وَتُرْخِي لَهُمْ زَمَانَ الْغُرُورِ فِي أَرْدِيَّتِهِمُ الْفَضْفَاضَةَ، أَوْ سَرَاوِيلَاتِهِمُ الْوَاصِفَةَ، أَوْ لِحَاهِمُ الْمُغْيِيَةَ، أَوْ نَعِيْبِهِمْ مِنْ فَوْقِ الْمَنَابِرِ الَّتِي ابْتُلِيتْ بِهِمْ، أَوْ شِقَاقَاتِ حَوَاصِلِهِمُ الْمُتَرَعَّةِ بِالْجَهْلِ وَالْهَوَى وَالْحَسَدِ !



وَيَمْضِي الشَّيْخُ عَلَى جَادَةِ الْعِلْمِ اللَّاحِظَةِ، غَيْرَ عَابِيٍّ بِكُلِّ مَا يَحِيكُونَ لَهُ  
 مِنْ مَكْرِ سَتِيٍّ، وَلَا مُلْتَفِتٍ إِلَى مَا تُكِنُّهُ صُدُورُهُمْ مِنْ غُلٍّ وَاجِفٍ، لَا يَسْمَعُ  
 بَعْدَاوَتَهُمْ إِلَّا طَنِينًا خَافَتَا، يَغِيبُ فِي صَدَى صَوْتِهِ الْمُدَوِّيِّ فِي آفَاقِ الزَّمَنِ الْحَاضِرِ  
 وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَيَذْهَبُ فِي صَرِيرِ قَلَمِهِ الَّذِي دَوَّنَ عَشْرَاتِ الْأَلُوفِ مِنْ صَحَائِفِ  
 الْعِلْمِ، وَيَتَلَاشَى فِي صَبْرِهِ الْمُحْتَسِبِ الَّذِي أَغْضَى حَيَاءً أَمَامَهُ ظُلُمَ الْأَلُوفِ  
 الْمَائِرَةِ مِنْهَا، وَهَلْ يَكُونُ لَهُ مِنْ بَعْدٍ إِلَّا بَشَارَةٌ تَرَسَّمَهَا أَمَامَ نَازِرِيهِ، وَيُطْرَبُ  
 تَوَقُّعُهَا الْأَخَاذُ أَذْنِيهِ؛ ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، ﴿ وَلَئِنْ  
 صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ .

وللشيخ - حفظه الله - من الحبِّ في قلبي ما لو اجتمع الشَّاءُ كُلُّهُ إِلَيْهِ  
 لَكَانَ دُونَهُ - مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ فِيهِ أَوْ تَعْصِبٍ لَهُ - ، لَذَا فَإِنِّي أَرْبَأُ بِحُبِّي إِيَّاهُ أَنْ يَنْقُصَهُ  
 ثَنَائِي لَهُ، لِيَبْقَى وَافِيًا بِهِيًّا يَزْهُو بِأَرْبِجِ الصَّفَاءِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ فَوْقَ شَوَيْدَاءِ  
 الْقَلْبِ، غَيْرِ مُنَازِعٍ حَتَّى بِالثَّنَاءِ الْجَمِّ الْوَفِيرِ، الَّذِي تَسْتَبْقُهُ الْأَلْسَنَةُ وَالْأَقْلَامُ فِي شَتَّى  
 بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَمِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَمْلَأُونَ أَجْوَافَهُمْ بِقُتَاتِ عِلْمٍ مَائِدَتِهِ، ثُمَّ  
 يَلُودُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَلَى غَيْرِ وِفَاءٍ لَهُ وَإِنْصَافٍ مِنْهُمْ وَلَوْ لِأَنْفُسِهِمْ هُمْ !!

عَلَى أَنَّ مَنَزَلَةَ الشَّيْخِ فِي دُنْيَا النَّاسِ، تَرْوُمُهُ هُوَ عَلَى الثَّنَاءِ عَلَى نَفْسِهِ،  
 فَيُمْسِكُ مِنْ خَشْيَةٍ وَأَدَبٍ - إِذْ هُوَ أَهْلٌ لَأَنْ يَقُولَ فِي مَنَزَلَتِهِ هَذِهِ قَوْلَ نَصْفَةٍ، بَيِّنَدَ  
 أَنَّهُ يَأْبَاهَا، فَتَقُولُ عَنْهُ مَنَزَلَتُهُ : مَا رَأَيْتُ - حَقًّا - مِثْلَهُ - وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ،  
 وَقَدْ قَامَ - الْيَوْمَ - بِوَاجِبٍ عَجَزَتْ عَنْهُ الْأُمَّةُ - أَوْ كَادَتْ - تُجَاهِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ  
 الْمُطَهَّرَةِ؛ فَتَحَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ مَعَارِفِهَا الْمَعْهُودَةِ، وَأَضَافَ أُخْرَى إِلَيْهَا، عُرِفَتْ بِهِ،

وأخذت سبيلها إلى تلك المعهودة .

فاهتأ أيها الشيخ الإمام بما أحرزت من قلوب مُحِبِّيك، مِن جِوَالِبِ الحُبِّ إليك، حُرِمَتْهُ قلوبُ شائِئِكَ، أغرقتهم فيه آثامُ الحسدِ والهوى والبهتِ، فمتى يُفِيقُ أولئك من رَدْحَةِ الحَبَالِ، التي أَنْتَنَتْهَا عُصَارَةُ الكِبَرِ الصَّاعِرِ، والبهتِ الجائرِ، والإثمِ الحائرِ، والبغضِ القائرِ، والمكرِ البائرِ، والإفكِ العائرِ !؟

وللشيخ - نفعَ اللهَ بعُلوْمِهِ - تَفَرُّدٌ عِلْمِيٌّ يَقُومُ عَلَى أُسُسٍ قَوِيَّةٍ؛ أَهْمُهَا :

١- وضوحُ منهجه العِلْمِيِّ بِكُلِّ مَرَاكِحِهِ وَسِمَاتِهِ، وَقَوَاعِدِهِ، وَأَصُولِهِ التي يَقُومُ عَلَيْهَا .

٢- قَدْرَتُهُ الحِوَارِيَّةُ؛ التي أَمَكَّتْ لَهَا فِي عَقْلِهِ إِحَاطَتُهُ الواسِعَةُ بِالشَّنَنِ والآثَارِ والأَخْبَارِ .

٣- حُجَّتُهُ البالِغَةُ؛ التي تَدَاعَتْ إِلَيْهَا الحُجُجُ، وَتَنَاهَتْ عِنْدَهَا الأدلَّةُ، فَأَصَابَ مِنْهَا قَدْرًا، أَعْجَزَ بِهَا خَصْمَهُ .

وهذه الثلاثة، أَفْضَتْ بِهِ إِلَى رَابِعَةٍ، وَهِيَ :

٤ - شِدَّتُهُ فِي الحَقِّ الَّذِي يَرَاهُ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ دَلِيلٍ، وَجُرْأَتُهُ فِيهِ، وَلَوْ عَادَ عَلَيْهِ بَعْدَاوَةُ رَعَايِ النَّاسِ، فَالْعَالَمُ لَا تُرْهِبُهُ عِدَاوَةُ الأَعْدَاءِ، وَلَا ( يُنْعِشُهُ ) حُبُّ الأَصْدِقَاءِ والأَوْلِيَاءِ ...

وفتأواه الصَّريحةُ الجريئةُ التي تَنَاقَلَهَا النَّاسُ، وَشَاعَتْ فِي أَرْجَاءِ الأَرْضِ -

فِي مُنَاسَبَاتٍ شَتَّى - شَاهِدٌ عَدِلٍ عَلَى ذَلِكَ .

وليس يُعزِّينا في البلاء الذي يَحُلُّ بالشيخ - حَمَاهُ اللَّهُ - إِلَّا ما نَعْرِفُ من  
البلاء الذي نالَ - في العصور كُلِّها - من أئمة الهدى، وأعلامِ الثَّقَى؛ فَصَبَرُوا  
على ما أُوذُوا، بل ما زادهم الأذى إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا؛ كأبي حنيفة، والشافعي،  
وأحمد بن حنبل، والبخاري، وابن تيمية، وغيرهم مِن بعدهم أو قبلهم .

وَأين الأذى الذي صَبَّ جامه على مدى أربعة عَشَرَ قرنًا على عُلَمَاءِ الأُمَّةِ  
ودُعاةِ الحقِّ فيها، من الأذى الذي نالَ من رسولِ اللَّهِ ﷺ ١؟

وما أحسنَ، وأروعَ، وأجملَ ما قاله ﷺ مُعزِّيًا أُمَّته : « إِذَا عَظُمَتْ مُصِيبَةُ  
أَحَدِكُمْ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ فِيَّ » .

وليس يَحْسُنُ أَنْ يَغِيبَ عن فِطْنَةِ البليد - بَلَّةِ الحَديدِ - أَنَّ الطُّعُونَاتِ الَّتِي  
رُمِيَ بِهَا الشَّيْخُ حَفَظَهُ اللَّهُ من أولئك - لم يُريدوا بِهَا الشَّيْخَ ذَاتَهُ، بل أرادوا  
من خِلالِهَا المَنْهَجَ الحقَّ الذي انْتَهَجَهُ، وَتَبَّنَاهُ، ودعا النَّاسَ إِلَيْهِ، حتَّى - كَأَنَّهُ  
- صار يُعْرَفُ بِهِ - وَلِلَّهِ الحَمْدُ - في هذا الزمانِ .

ولقد نظرتُ في صنيعِ واحدٍ من فُقَرَاءِ<sup>(١)</sup> العلمِ هؤلاءِ - تطاولَ على  
الشيخ، وأَجْلَبَ عليه بِلَهَاتِ صَوْتِهِ، وقَعَقَعَةِ أُمِّيَّتِهِ وجَهِلِهِ، وطابت سِريرَتُهُ بَقِيحِ  
صُنْعِهِ، وَأَسْفَرَتْ لَهُ عن صُفْرَةِ نِفاقٍ، واستبانَتْ لَهُ عن جُنُونِ مَزْدُولٍ - فما  
وَجَدْتُهُ على شِدَّتِهِ وَقُبْحِهِ، يَغْدِلُ أَقْلَ القليلِ من الأذى الذي لَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ  
مُحَمَّدٍ ﷺ .

( ١ ) ومعلومٌ أَنَّها جُمعُ تكسيرٍ، مُفْرَدُها ( فقير ) !!

ومع ذلك، فقد أجهدتُ نَفْسي في البحث عن مُفْرَدَةٍ واحدة، ممَّا زَخَرَتْ بِهِ مَعَاجِمُ اللُّغَةِ، وَفَاضَتْ بِهِ دَوَاوِينُهَا، وَنَاءَتْ بِهِ أَسْفَارُهَا، أَصِفُّهُ بِهَا، فَلَا - وَاللَّهِ - مَا عَثَرْتُ عَلَيْهَا، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هل ضاقت اللُّغَةُ دَرْعاً بِتِلْكَ الْمُفْرَدَةِ ؟ أم ماذا ؟!

وبعد تأمل ونظر، عرفتُ أَنَّ اللُّغَةَ قَدْ غَلَبَهَا الْحَيَاءُ بِمَا أَقْسَمَ هُوَ عَلَيْهَا أَنْ لَا تُبْدِيَ لِي عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْمُفْرَدَةِ تَأْتِماً أَنْ تُذَكِّرَ بِهِ - وَلَوْ فِي كَلِمَةٍ مِمَّا تُحْسِنُ بِهِ وَاصِفَةً قُبْحَهُ - أَوْ تَنْزِهاً عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذِكْرٌ فِي حُرُوفِهَا، فَتَقَرَّتْ نِفَارَ الْمُتَنَزِّهِ الْمُتَأْتِمِ، وَأَبْرَتْ بِقَسَمِ الْحَيَاءِ، وَأَبَتْ عَلَيَّ مُفْرَدَاتِهَا أَنْ تُسْفِرَ عَنْ مَعَانِيهَا، أَوْ عَنْ حَرْفٍ مِنْهَا !!

وليس صعباً عَلَى مَنْ يُخَاصِمُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ بغيرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مَنِيرٍ؛ طَاعَةَ لِإِبْلِيسَ، وَوَفَاءً لَهُ بِالْعَهْدِ - مِنْ فَوْقِ الْمَنَابِرِ وَمِنْ تَحْتِهَا، مِنْ فَوْقِ الْقِبَابِ الْخُضِرِ وَمِنْ تَحْتِهَا، مِنْ وَرَاءِ الْجُدُرِ الْمُسْتَنَدَةِ وَمِنْ أَمَامِهَا، مِنْ غِيَاهِبِ الْغُرَفِ الْمَظْلَمَةِ وَمِنْ ظُهُورِهَا - أَنْ يُجِيشَ - بِكَلِمَاتِهِ الْهَوْجَاءِ - جِيوشاً، وَيُدْمِرَ دُولاً، وَيُفْنِيَ قِبَائِلَ وَشُعُوباً، وَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَمَنْ يَشَاءُ، وَمَتَى يَشَاءُ، وَكَيْفَ يَشَاءُ، وَأَتَى يَشَاءُ، وَيُثَبِتُ ! يُزْغِي بِذَلِكَ وَيُزِيدُ، وَيُغْرِي فَرْيَ الْهَازِي الْأَحْمَقِ الْمَعْرِيدِ، وَيُقِيمُ الطَّائِمَاتِ مِنَ الثُّوبِ وَلَا يُقْعِدُ، مُدَثِّرًا كُلَّ ذَلِكَ بِخَيَالَاتِ الْأَطْفَالِ السُّدُجِ، مُخْلِياً لَهُ بِسُوءِ أَدَبٍ، وَكُزُوزَةِ وَجْهِ، وَبِلَادَةِ حِسٍّ، وَقِمَاعَةِ رَجُولَةٍ، وَرَكَكَةِ دِينٍ، وَفَهَاهَةِ لِسَانٍ، وَخُتْلَاءِ مَجَانِينَ، وَكِبْرِيَاءِ صَاغِرِينَ، وَحَقَارَةِ

أشعبيين !!

وماذا على الناقمين على الشيخ فتواه - زعموا - وهي مَطيئة الكذب -  
لو أنهم أتوه في داره، أو كلّفوا إبهاماتهم الضُّغطَ على أرقام الهاتف يسألونه عن  
تلك الفتيا، التي وجدوها ذريعةً لألسنتهم السالقة الحِداد، أن ينالوا من الشيخ  
- ظنوا - والظن لا يُغني من الحق شيئاً - في عِرضه، ودينه، وزُرعِه البَليغ !  
ولا - والله - ما نالوا إلّا من أنفسهم، ولا جلدوا إلّا أبشارهم، ولا حطّوا  
إلّا عِصفهم، ولا سفّوها إلّا أحلامهم !

والله القويّ الجبارُ المنتقم، لن يتخلّى عن الشيخ، الذي نصّبهُ لنشرِ راية  
سُنّة نبيّه عليه الصّلاة والسلام، وكسّر شوكة البدعة، والكشف عن زُيوف  
دَهاقنة العجم، وفُضح فُروخ المعتزلة، والإبانية عن عَوْرَات أنصارِ العقائد الفاسدة،  
وجهالاتِ سِمانِ الإفك والضلالة !

وَحَقُّ لنا - نحن دُعاة التوحيد وحَمَلَةُ السُنّة - أن نَتَمَثَّلَ - اليومَ - في  
علمائنا وحالِهِم مَعَ خصومِهِم، ما قِيلَ :  
أولئك ( أشياخي ) فَجِئْنِي بِمِثْلِهِم

إذا جَمَعَتْنَا يا ( أئِمْ ) المَجَامِعُ

ويكفي الشيخ - نُصْرَةً من ربّه -، أنّه إذا ذُكِرَ، ذُكِرَ الكتابُ والسُنّةُ؛ فقد  
أعلى الله في الأرضِ ذِكرَهُ، وصَيَّرَهُ أَمِيناً حَافِظاً لَأَسَانِيدِ الْأَخْبَارِ ومُتَوْنِ الشُّنَنِ،  
ومَكَّنَهُ من فَقْهها ما لم يُمَكِّنْ لِأَحَدٍ في عَصْرِه، وآتاه من عُلُومِها ما لم يُؤْتِ أَحَدًا

في زمانه<sup>(١)</sup>، فهل يكونُ وجودُ خطأ في فتوى - إن أخطأ فيها - من فتاواه المتكاثرة سبباً في تضلُّع أولئك المشايخ -، بتأري النصوص، والسَّاطين على الحقوق، ولاسي ثياب الزُّور - من بثر بُضاعةٍ !!! وأن يحِصُّوا تلك الحِصَّة، التي أودَّتْ بأمثالهم مِنْ قَبْلُ ؟! فعليهم من الله ما يستحقُّون، وحسبيهم الله، ونسأل الله أن يحاسبهم بعدله لا بفضله، فلقد - والله - أرَضُّوا دينهم للهوى، وتقواهم - إن كانت - لِلْبَلَى !!!

وحتى لا يكونَ سبيلٌ أو حُجَّةٌ علينا، أننا لم نَجُلْ حقيقةَ فتوى الشيخ، في هجرة أهل فلسطين عن أرضها - كما أذاعها، ونشرها، ورَّوجها المتقولون البتَّارون - فلا بدَّ أن نُبيِّنَها - حقيقةً - كما أرادها الشيخ، وأفتى بها، لا كما خَبَطَ فيها الخابطون، وخاضَ فيها الخائضون، بل كانت لبعضهم لافتة من لافتات الانتخابات التي يَضْحَكُ منها حتى الصبيان والتَّوَكَّى !

فنبولُ وبالله التوفيقُ، ومنه العونُ والتَّحقيقُ :

أولاً : الهجرةُ قرينةُ الجهادِ، ماضيان معاً إلى يوم القيامة، كما قال ﷺ - فيما رواه أحمدُ وغيره - : « لا تنقطعُ الهجرةُ ما دامَ الجهادُ »، وإجماعُ الأمة

( ١ ) وعَجَبْنَا بِمَنْدُ زَوَاقِهِ، وَيَتَّسِعُ مَدَاهُ، وَتَشْتَدُّ أَطْنَابُهُ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَرْوُنَ الشَّيْخَ

مُحَدَّثًا وَلَا يَرْوُنَهُ - بِمَا أَنَاهُ اللَّهُ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - فَقِيهًا !!!

يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا أَرَزَى شَيْءٌ بِأَهْلِهِ مِثْلَ الْجَهْلِ وَالْهَوَى !! وَهَلِ الْفَقْهُ إِلَّا قَالَ اللَّهُ وَقَالَ

رسوله ؟!

مُنْعَقِدٌ عَلَى ذَلِكَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : « لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ » فَإِنَّهُ يَرَادُ بِهِ - خُصُوصاً - الْهَجْرَةُ الْأُولَى مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَعَلَى هَذَا جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ :  
 قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي « الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ » ( ٤ / ٣٢٠ ) بَعْدَ إِمْرَائِهِ  
 الْأَحَادِيثَ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا النَّهْيُ عَنِ الْهَجْرَةِ بَعْدَ الْفَتْحِ :

« وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْهَجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ،  
 لِأَنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ، وَتَبَيَّنَتْ أَرْكَائُهُ وَدَعَائِمُهُ،  
 فَلَمْ تَبَقْ هَجْرَةٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَغْرِضَ حَالٌ يَقْتَضِي الْهَجْرَةَ بِسَبَبِ مُجَاوِرَةِ أَهْلِ  
 الْحَرْبِ، وَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى إِظْهَارِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ، فَتَجِبُ الْهَجْرَةُ إِلَى دَارِ  
 الْإِسْلَامِ، وَهَذَا مَا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ » .

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالَكِيُّ فِي « أَحْكَامِ الْقُرْآنِ » ( ١ / ٤٨٤ )  
 أَثْنَاءَ تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا  
 كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ  
 وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ فَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ضَمَّنَ بَيَانَهُ  
 أَنْوَاعَ الْهَجْرَةِ :

« ... الْخُرُوجُ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ فَرْضًا فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ

ﷺ، وَهَذِهِ الْهَجْرَةُ بَاقِيَةٌ مَفْرُوضَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .<sup>(١)</sup>

( ١ ) وَنَقَلَهُ عَنْهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » ( ٥ / ٣٤٩ - ٣٥٠ ) وَأَقَرَّهُ .

وما هنا تنبيهٌ مهمٌ جداً؛ وهو أنَّ الفتيا - في أصلها - ليست مُوجَّهةً إلى أهل فلسطين وحدهم، ولكنها مُوجَّهةٌ إلى كُلِّ مَنْ ينطبقُ عليهم منَاطُ هذا الحكمِ المُتَّصِلِ بالخَشْيَةِ على الدينِ والنَّفْسِ .

وبمثل هذا أفنى كبارُ عُلماءِ الإسلامِ في حالاتٍ مُشابهةٍ مُماثلةٍ في القرونِ الماضيةِ؛ كَفَتِيَا شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ المتوفى سنة ( ٧٤٨هـ )، لأهلِ ماردين - وهي مدينةٌ في الشامِ احتلَّها العُدُوُّ الكافرُ آنذاك -؛ لما سُئِلَ عَنْهُمْ : هَلْ تَجِبُ عَلَيْهِمُ الْهَجْرَةُ ؟ فقال رَحِمَهُ اللهُ - كما في « مجموع الفتاوى » ( ٢٨ / ٢٤٠ ) - : « والمُقيمُ بها إن كانَ عاجِزاً عَنِ إقامَةِ دينِهِ وَجَبَتْ الهَجْرَةُ عليه، وإلا اسْتَحِبَّتْ وَلَمْ تَجِبْ » .

وَبَنَحَوْ ذلكَ أفنى العَلَّامةَ محمدَ العبدوسيَّ المتوفى سنة ( ٨٤٩هـ ) مُسْلِمِي غِرْنَاطَةَ - آخرِ معاقلِ الإسلامِ في الأندلس - عند سقوطها بأيدي الكُفَّارِ؛ كما في كتاب « الحديقة المُستقلَّة النَّضِرَة »<sup>(١)</sup> .

ثانياً : من عَظِيمِ الحِكمةِ الإلهيةِ أَنَّ اللهَ سبحانه لَمَّا بَشَّرَعَ الهَجْرَةَ أَوَّلَ ما بَشَّرَعَهَا إنما كانت من أَقدَسِ أَرْضٍ، وأعْظَمِها حُرْمَةً عنده، وهي مَكَّةُ، وَنَاطَها بأعْظَمِ إنسانٍ وأَحَبِّهِ إليه، وهو رَسولُ اللهِ ﷺ .

ثالثاً : من عَجِيبِ الأَمْرِ وأَقْبَحِهِ !! أَنَّ بعضاً مِمَّنْ طَعَنَ على الشيخِ في فتواه قد ذَكَرَ أَنَّ الهَجْرَةَ من عَمَّانَ إلى تَلِّ أَيْيبَ، ومن الرِّياضِ، والقاهرةِ، والجزائرِ،

( ١ ) انظر مُقدِّمة تحقيق « الإفادات والإنشادات » ( ص ١٢ - ١٣ ) للشاطبي .



وتونس إلى تلّ أيب أحبّ إليه ! بل هي الهجرة التي يجب أن تكون لمن أراد أن يهاجر، لأنّ حرّيّة الإنسان في تلّ أيب مضمونة أكثر منها في بلاد الإسلام !! وهذا قلب الحقيقة الدين، وواقع المسلمين .

رابعاً : ومن عجيب الأمر وأقبحه !! أن الذي يُعارض فتوى الشيخ بمثل ذاك الكلام الفارغ الفاسد الخاوي - إلّا من الجهل - يجد تأييداً من العامة، وتطبيلاً، وتزميماً كما يقال !  
وَرَجِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ فِي بَيَانِ أَصْنَافِ النَّاسِ : « وَهَمَجٌ رَعَاغٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ ... » !

خامساً : ومن عجيب الأمر وأقبحه !! أن المطبّلين المزمرين لهؤلاء الثفر - فضلاً عن هؤلاء الثفر أنفسهم - لم يتكلفوا جهداً في الوقوف على حقيقة فتوى الشيخ ليُعرفوا صوابها من خطئها، بل راحوا يُجمعون أضرابهم من أشباه العامة ويستعدّونهم، فتشروا فتوى الشيخ مُجزّأة مُقطّعة في الكليات الجامعية، وبين المثقّفين وأشباه المثقّلين، ليُكثروا من سوادهم !

فيا حسرة على العلم، أودى به أهله، حتى انتقص في أيديهم حبله !!  
سادساً : ومن البدهية بمكان أن مثل الشيخ؛ في معرفته، ودقّة علمه، وعزّارته، يبعد عنه - جدّاً - أن يُطلق فتواه من قيودها، لتصير أغنيّة من أغاني الشيطان يُغنيها - عزفاً على مزاميره - فوق المنابر، وفي المساجد، والمجتمعات الخاصة والعامة أولئك الحاطبون بليل، الخابطون في وُخل الجهل، والهوى،

والضلال، الشارِدون عن الحق بباطلهم .

إِذَنْ؛ فَإِنَّ أَوْلَكَ الحَاطِبِينَ، الحَاطِبِينَ، الشارِدِينَ، اهتبلوها فُرْصَةً ثَمِينَةً ضِدَّ الشَّيْخِ؛ يَطْعَنُونَ عَلَيْهِ بِهَا، وَيَنَالُونَ مِنْ عِزِّهِ، وَدِينِهِ، وَعِلْمِهِ، وَمَا عَلَّمُوا أَنَّهُ - وَهُوَ عَالِمُ الشُّنَّةِ فِي زَمَانِنَا - لَحْمُهُ مَسْمُومٌ، وَقَدْ صَانَ اللَّهُ عِزِّهِ، وَحَمَاهُ فِي دِينِهِ، وَأَظْهَرَهُ عَلَى النَّاسِ فِي عِلْمِهِ، فَلْيَفْرَحُوا قَلِيلاً، وَلْيَحْزَنُوا كَثِيراً !! جَزَاءُ مَا صَنَعُوا .

قال الإمام ابن عساكر في « تبين كذب المفتري » ( ص ٢٩ - ٣٠ ) :

« إعلم - يا أخي - وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِمَرْضَاتِهِ، وَجَعَلْنَا مَنْ يَخْشَاهُ وَيَتَّقِيهِ حَقَّ تَقَاتِهِ، أَنَّ لُحُومَ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ، وَعَادَةُ اللَّهِ فِي هَذَا أَسْتَارٌ مُنْتَقِصِيهِمْ مَعْلُومَةٌ، لِأَنَّ الْوَقِيعَةَ فِيهِمْ - بِمَا هُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ - أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَالتَّنَاوُلُ لِأَعْرَاضِهِمْ بِالزُّورِ وَالْإِفْتِرَاءِ مَرْتَعٌ وَخِيمٌ، وَالْإِخْتِلَاقُ عَلَى مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ لِنَقْشِ الْعِلْمِ خُلُقٌ دَمِيمٌ .. وَالْإِرْتِكَابُ لِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْإِغْتِيَابِ جَسِيمٌ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ » .

سابعاً : وعلى فَرَضِ أَنَّ الشَّيْخَ حَفَظَهُ اللَّهُ أَخْطَأَ فِي فَتَوَاهُ، فَهَلْ يَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَشَايخِ وَالِدَكَاتِرَةِ الْأَجَلَاءِ الْأَخِلَاءِ النَّبَلَاءِ - غَيْرِ الْمُتَّقِينَ فِيمَا صَنَعُوا !! - كُلُّ هَذَا ؟! وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ، يُثْنُونَ عَلَى فَضْلِ عِلْمِهِ هَمْساً (!!) خَشْيَةً أَنْ يَنَالُوا شَرًّا بِالنَّشَاءِ عَلَيْهِ ( جَهراً !! )، وَلَقَدْ عَلَّمُوا أَنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ أَوْ أَصَابَهُ بِلِسَانِهِ بِأَذَى فَهُمَا عِنْدَهُ سَوَاءٌ، وَإِلَّا فَمَا كَانَ لِيَكُونَ الشَّيْخُ نَاصِرٌ هُوَ

## الشيخ ناصراً !!

ثامناً : وليس بغائبٍ عن الشيخ - حفظه الله - عندما أفتى فتياه أن أذى كثيراً سيلحقه بفتواه، وبخاصة إذا لم تُستَوْفَ بكل جوانبها وأجزائها من قبل سامعيه - كما حَدَثَ فعلاً من عددٍ من المشايخ والدكاترة، الذين يَحْفَظُونَ جميعاً : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ... ﴾ والبقية في أهل الكتاب عندهم !! و ﴿ إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ... ﴾ والبقية أيضاً عندهم -، لكن المشايخ والدكاترة - وبخاصة الفجرة في الخصومة منهم - يُعَذِّرون (!) في موقفهم وكلامهم السيئ القبيح في الشيخ، فهم يحسدوهم ليسوا ببالغي شيء مما أفاء الله به عليه، وهم بجهلهم أودى بدينهم لهم من الحسد !! .

فلا أدري إذن بأيهما يفرحون، أبحسدوهم أم بجهلهم ؟! فإن كان الأول؛ وهو الحسد، فإنه لا شفاء منه، وإن كان الثاني؛ وهو الجهل، فإنما شفاء العي السؤال، كما قال ﷺ : « فَهَلَّا سَأَلُوا ؟! »، بيد أنه يندو أن الحسد والجهل اجتماعاً على صعيد عقولهم وقلوبهم معاً، فأصابوا من سيئات حسدوهم وجهلهم ما هم به جديرون !!! والحمد لله على كل حال !!

تاسعاً : هذه الفتوى من الشيخ ليست جديدة - كما أوهم أولئك الحاقدون ولبّسوا ودلّسوا - فقد سُئِلَها مرّاتٍ منذ عدّة سنوات، وهي مبثوثة في عددٍ من الأشرطة، ومن الظلم أن تُؤَخَذَ مُقَطَّعةً، مُجَزَّاةً، مُضافاً إليها سوء الظن أو ظنُّ السوء .

ومما يثير الدهشة والتساؤل في آنٍ معاً : لِمَ تُبْعَثُ هذه الفتوى من جديد،  
وتُشاعُ في الناس في هذا الوقت، مع العلم أنها من الفتاوى القديمة !!؟  
جوابُ ذلك عند المشايخ والدعاة الذي يُعدُّون العُدَّةَ للانتخابات !! أي  
والله؛ أو عند الانتخابات نفسها، فالفرق بين الانتخابات وبين الذين يُعدُّون  
أنفسهم لها، كالفرق بين الأوكسجين والهيدروجين في الماء !!

عاشراً : ثُمَّ إِنَّا نَسْأَلُ الْمُشْتَغِينَ عَلَى الْفُتْيَا، وَالنَّاشِرِينَ لَهَا - فِي آنٍ مَعاً - :  
مَنْ الَّذِي كَدَّ وَجَدً فِي اسْتِنْسَاخِ أَشْرَطَةِ الْفَتَاوَى وَتَوَزِيعِهَا ؟!  
هل هُوَ الشَّيْخُ ؟! أم تَلامِيذُهُ ؟!  
أم هُمُ الشَّانَتُونَ الْمُنْكَرُونَ أَنْفُسَهُمْ ؟!

كُلُّ وَاحِدٍ يَعْرِفُ الْجَوَابَ مِنْ دُونِ ارْتِيَابٍ، وَيَعْرِفُ - بِالتَّالِي - دَوَافِعَهُ  
الْحَقِيقِيَّةَ وَبَوَاعِثَهُ !

حادي عَشَرَ : وَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ حَقِيقَةِ الْفَتَاوَى تَامَّةً، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ أَوَّلًا، ثُمَّ  
لِيَجْمَعْ أَجْزَاءَهَا ثَانِيًا، ثُمَّ لِيَفْهَمْ مَا يَعْنِي الشَّيْخُ وَيُرِيدُهُ بِفَتْوَاهِ ثَالِثًا، وَكَانَ خَيْرًا لَهُ  
لَوْ أَنَّهُزَ هِمَّتَهُ الْعِلْمِيَّةَ الْقَعَسَاءَ !!! وَشَحَذَ سِكِّينَ تَقْوَاهِ الْمُثَلِّمَةِ !!! وَفَهِمَ عَنْ  
الشَّيْخِ مُرَادَهُ، مِنْ غَيْرِ حَاجِبٍ، وَلَا تَرْجُمَانٍ، وَلَا أَقَاكٍ ( هَائِجٍ )، وَلَا مُتَعَالِمٍ  
( مُخْتَلِطٍ )، وَلَا مُغْرَضٍ ( بَاهِتٍ )، وَلَا طَوِيلٍ ( أَهْبَلٍ )، وَلَا قَصِيرٍ ( مُنْبَجِعٍ ) !!

ثاني عشر : تُرَتَّبُ فَتَاوَى الشَّيْخِ بِأَجْزَائِهَا الْمُؤْتَلِفَةِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي نَقَاطٍ  
وَاضِحَةٍ مُحَدَّدَةٍ :

□ الهجرة والجهاد ماضيان إلى يوم القيامة .

□ ليست الفتيا مُوجَّهةً إلى بلدٍ بعينه، أو شعبٍ بذاته .

□ وقد هاجر أشرفُ إنسانٍ وأعظمُهُ محمدٌ عليه الصلاة والسلام، من أشرفِ بُقعةٍ وأعظمِها؛ مَكَّةَ المَكْرَمَةِ، وكلُّ إنسانٍ - مُنْذُ خُلِقَ النَّاسُ وإلى قيامِ الساعةِ - دونَ محمدٍ عليه الصَّلَاةُ والسلامُ منزلةً، وكلُّ بقاعِ الأرضِ دونَ مَكَّةَ شَرَفًا وَقُدْسِيَّةً .

□ وتجب الهجرةُ حين لا يجدُ المسلمُ مُسْتَقَرًّا لدينه في أرضٍ هو فيها، أو اِثْتِجَنَ في دينه فلم يَقْضَ في وُسْعِهِ إظهارُ ما كُلِّفَهُ اللَّهُ به من أحكامٍ شرعيةٍ، أو خَشِيَ أن يُفْتَنَ في نفسه من بلاءٍ يَقَعُ عليه أو مَسْ أذى يُصِيبُهُ في بَدَنِهِ فينقلبُ به على عَقْبِيهِ .

وهذه النقطةُ هي مناطُ الحُكْمِ في فتوى الشيخ والمُرْتَكِزُ الأساسُ فيها - لو كانوا يعقلون ١ - وبها يرتبطُ الحُكْمُ وجوداً ونفيّاً .

ولكن - وللأسف الشديد - قد غَيَّبَ ذلك وأخفاه وَكَتَمَهُ الناقِدون

الحاقِدون الحاطِبون في مُحاضراتِهِمْ و ( ملاحِيهِمْ ) المنبريَّة الانتخابيَّة !!

قال الإمامُ النَّوَوِي في « روضة الطالبين » ( ١٠ / ٢٨٢ ) :

« المسلم إذا كان ضعيفاً في دارِ الكُفْرِ، لا يَقْدِرُ على إظهارِ الدينِ حَرَمَ عليه الإقامةُ هناك، وتجبُ عليه الهجرةُ إلى دارِ الإسلامِ ... » .

□ وحين يجدُ المسلمُ مَوْضِعاً - داخلَ القُطْرِ الذي يعيشُ فيه - يَأْمَنُ فيه

على نفسه ودينه وأهله، ويتأى فيه عن الفئنة التي حلت به في مدينته أو في قريته، فعليه - إن استطاع - أن يهاجر إلى ذلك المكان داخل قطره نفسه، وهذا أولى - ولا شك - من أن يهاجر إلى خارج قطره، إذ يكون أقرب إلى بلده ليسرع بالرجوع إليه بعد زوال السبب الذي من أجله هاجر .

وهذه نقطة أخرى - أيضاً - قد غيها أولئك ( القوم ) الذي لم يرقبوا في الشيخ، والعلم، والناس، إلا ولا ذمة !!

□ إذن؛ فالهجرة كما أنها مشروعة من قطر إلى قطر، فهي مشروعة من قرية أو من مدينة إلى قرية أو مدينة داخل القطر نفسه، والمهاجر يعرف من نفسه ما لا يعرفه منه غيره .

وهذا - ثالثاً - قد غيبه أولئك المهرجون على المنابر، والراقصون على الصحائف ! زاعمين أن الشيخ يأمر أهل فلسطين بالخروج منها !! نعم؛ هكذا - والله - من غير تفصيل أو بيان !! ولكن :

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ

مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ !

□ والهجرة من قطر إلى قطر لا تُشرع إلا بدواعيها وأسبابها من مثل ما ذكرنا في فقرة مضت؛ ومن أعظم هذه الأسباب، أن تكون الهجرة للإعداد واتخاذ الأهبة التي أمر الله بها؛ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾؛ لإجلاء الأعداء عن أرض من

أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَخْلِيصِهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ؛ لِيَعُودَ إِلَيْهَا مُحْكَمُ الْإِسْلَامِ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ .

فَالهَجْرَةُ - إِذَنْ - مِنْ الْإِعْدَادِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَحَضَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَبْطَأَ فِيهَا - وَقَدْ تَهَيَّأَتْ أَسْبَابُهَا وَدَوَاعِيهَا - فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَنَأَى بِجَانِبِهِ عَنْ أَمْرِهِ .

فَإِنْ عَلِمَ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُمْ يَبْقَائُهُمْ فِي دِيَارِهِمْ يَزْدَادُونَ وَهْنًا إِلَى وَهْنٍ وَضَعْفًا إِلَى ضَعْفٍ، وَأَنَّهُمْ إِنْ هَاجَرُوا ذَهَبَ الْوَهْنُ عَنْهُمْ، وَزَالَ الضَّعْفُ مِنْهُمْ، وَبَقُوا - بَعْدَ عِلْمِهِمْ هَذَا - وَلَمْ يُهَاجِرُوا؛ - إِنْ اسْتَطَاعُوا - فَهُمْ آثِمُونَ عَاصُونَ أَمْرَ اللَّهِ، وَرَبَّمَا غَوِقُوا بِمَعْصِيَتِهِمْ هَذِهِ عَقُوبَةٌ أَكْثَرُ وَأَشَدُّ نُكْرًا، تَتَلَاشَى فِيهَا شَخْصِيَّتُهُمْ، وَتَغِيبُ مَعَهَا صُورَتُهُمْ، وَتَضِلُّ بِهَا عَقِيدَتُهُمْ، ثُمَّ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا .

وَمَا صَارَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَفِي غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، شَاهِدٌ مَنْظُورٌ يَقُصُّ عَلَيْنَا مِنْ نَبِيِّهِ مَا يَبْعَثُ مَنَسِيَّ الشَّجَنِ، وَيُنْسِي لَذَّةَ الْوَسَنِ، وَيَذَكِّرُ مَخْظُورَ الشَّنَنِ ! فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ ؟

□ وَمَا لَا شَكَّ فِيهِ - مِمَّا كَتَمَهُ - أَيْضًا - نَاقِلُو الْفُتْيَا الْمُشِيعُونَ لَهَا - أَنَّ هَذَا كُلَّهُ مَنُوطٌ بِالْقُدْرَةِ وَالْإِسْطَاعَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، وَلِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ؛ فَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمُسْلِمُ أَرْضًا يَأْوِي إِلَيْهَا غَيْرَ الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ فِيهَا؛ يَأْمَنُ فِيهَا عَلَى دِينِهِ، وَيَنْجُو مِنَ الْفِتْنَةِ الْوَاقِعَةِ فِيهَا، أَوْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْهَجْرَةِ بِأَسْبَابٍ مَانِعَةٍ قَاهِرَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ تَذْلِيلَهَا، أَوْ

استوت الأرض كلها في الأسباب والدواعي الموجبة للهجرة، أو عِلِمَ في نفسه أن بقاءه في أرضه آمن لدينه ونفسه وأهله، أو لم يكن من مهاجرٍ إلّا إلى أرض يُحْكَم فيها بالكفر الصّراح علانية، أو كان بقاءه في أرضه المأذون له بالهجرة منها مُحَقَّقاً مصلحة شرعية، سواء أكانت هذه المصلحة للأمة، أم بإخراج أهل الكفر من كفرهم، وهو لا يخشى الفتنة على نفسه في دينه، فهو في هذه الأحوال كلها، وفي الأحوال التي تُحاكيها، ليس في وسعه إلّا أن يبقى مُقيماً في أرضه، ويُزجى له ثواب المهاجرين، فراراً بدينهم، وابتغاء مرضاة ربهم .

قال الإمام النووي - في « الرّوضة » ( ١٠ / ٢٨٢ ) - مُتَمِّماً كلامه الذي نقلته عنه - قَبْلُ - :

« ... فإن لم يَقْدِر على الهجرة فهو مَعذُورٌ إلى أن يَقْدِرَ » .

□ ويُقال في أهل فلسطين - خصوصاً - ما يُقال في مثل هؤلاء جميعاً، فلقد سئل الشيخ - حفظه الله - عن بعض أهل المدن التي احتلّها اليهود عام ١٩٤٨م، وضربوا عليها صبغة الحكم اليهودي بالكلية، حتى صار أهلها فيها إلى حالٍ من الغربة المُرَمَلَة في دينهم، وأضحوا فيها عِبْدَة أذلاء؟ فقال : هل في قرى فلسطين أو في مُدُنِها قرية أو مدينة يستطيع هؤلاء أن يَجِدُوا فيها دينهم، ويَتَّخِذوها داراً يَدْرءُون فيها الفتنة عنهم ؟ فإن كان؛ فعليهم أن يُهاجروا إليها، ولا يَخْرُجُوا من أرض فلسطين، إذ إنّ هِجْرَتَهُمْ من داخلها إلى داخلها أَمْرٌ مَقْدُورٌ عليه، ومُحَقَّقُ الغاية من الهجرة .

وهذا تحقيقٌ علميٌّ دقيقٌ يَنْقُضُ زَعْمَ مَنْ شَوَّشَ وهَوَّشَ مُدْعِياً أنَّ في فُتْيَا



الشيخ إخلاء لأرض فلسطين من أهلها، أو تنفيذاً لمخططات يهود !! ﴿ ما لكم كيف تحكمون ﴾ .

أف لكم أيها الناقدون الحاقدون! هل علمتم هذا التفصيل أم جهلتموه ؟  
إن كنتم علمتموه فلم أخفيتموه وكنتمتموه ؟

وإن كنتم جهلتموه ! فلماذا رضيتم لأنفسكم الجهل، وللشيخ الظلم،  
وللناس التضليل ؟

أم أن هذه تجارتكم تخشون كسادها ؟ بئست البضاعة، وبئست  
التجارة !

□ وليعلم المسلم أن الحفاظ على الأرض والنفس، ليس أولى من الحفاظ  
على الدين والعقيدة، بل إن استلاب الأرض - ممن يظل مقيماً فيها رجاء الحفاظ  
عليها، غير واضح في حسابها الحفاظ على دينه أولاً - قد يكون أيسر، وأشد  
إيذاءً، وأعظم فتنة .

والعدو الكافر الذي يحتل أرضاً - وأهلها مقيمون فوقها - يملك الأرض  
ومن عليها وما عليها، فالكفر لا يحفظ للإسلام عهداً، ولا يرعى للمسلمين إلا  
ولا ذمة، ولا يقيم لهم في أرضهم وخارج أرضهم وزناً .

وأما الحفاظ على النفس؛ فلا تريد إطالة القول فيه، أو التدليل عليه بأكثر  
من التذكير بواقعتي هذا القرن الميريتين : النكبة والنكسة !!

فأيهما أولى وأحرى : الهرب والفراخ محافظة على النفس والولد ؟ أم

الهجرة وأتباع الشُّرع بكل استعلاء وإباءٍ حفاظاً على الدين ١٩

### وأخيراً :

فإني أذكر السَّادة الأَجَلَاءَ الأَخِلَاءَ - غير المُتقين فيما صَنَعُوا - ١١ بأمورٍ  
لعلها تكونُ نافعةً في توبةِ نَصُوحٍ، يَفْجَلُون بها إلى ربِّهم، قبلَ أن يأتيَ يومٌ لا تنفعُ  
فيه خُلَّةٌ ولا شَفاعةٌ، والشاغِبون على الشيخ هم الظالمون :

الأول : هل يجوزُ شرعاً أن يكونَ الشريطُ المُسجَّل دليلاً شرعياً قائماً  
على صحَّة نسبةِ دعوى ما إلى مَنْ تُنسب إليه، حتى لو كان الصوتُ المُسجَّل هو  
صوتٌ من نُسبت إليه تلكَ الدعوى ؟ والجوابُ بالإيجابِ أو النفي، هو الذي  
يُحكِّمُ به على صحَّة تلكَ الدعوى أو على بُطلانِها؛ وبخاصَّةٍ أنَّ الحزبيَّةَ  
المُعاصرةَ تفعلُ سائرَ ما تستطيعُ أن تفعله من تزويرٍ أو تحويرٍ - كما يعرفُ أربابُها  
من أنفسهم - من أجل تحقيقِ غاياتها وأهدافها !!

الثاني : كما أنَّ الجواب - إيجاباً أو نفياً - يُعين على فهمِ قوله تعالى :  
﴿ إِن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَاءٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُضِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُضْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ  
نَادِمِينَ ﴾، وعِلْمُ تحليلِ الأصوات لا يُقدِّم ولا يُؤخِّر في الاعتداد بالحُكم على  
صحَّة الدعوى أو على بُطلانِها، ولا أدري إن كان هذا قد مرَّ بخواطر العاديين  
على الشيخ أم لم يَمُرَّ ؟

فكيف إذا كان الشريطُ المُسجَّل - الذي نَشَرُوهُ وأذاعُوهُ - واحداً من  
عدَّةٍ أشرطةٍ لا يتمُّ الحُكم على الفتوى المقصودة بالبحثِ إلَّا بالوقوف عليها

جميعها، وهذا ما لم يفعله واحدٌ من أولئك المشايخ !!

الثالث : هل يجوزُ شرعاً أن يُتَّخَذَ السَّبْقُ الصحفي مَقِيْساً عليه في الحُكْمِ على الأمور والأشياءِ حُكْماً شرعياً ؟ فالسَّبْقُ الصحفي لا تفرِقُ فيه بين الصدق والكذب، ولا بين الحقيقة والخيال، ولا بين الحقِّ والباطل .

والحُكْمُ الشرعيُّ يخضعُ للوحي، فالحقُّ والحقيقةُ رداؤهما الصدقُ، والباطلُ والخيالُ رداؤهما الكذبُ، وأين هذا من ذاك ؟ هل يستويانِ مثلاً ؟

فكيف إذا امتطتْ صهوةُ ذلك السَّبْقِ إحدى جرائدِ الصفِّ ( العاشر ) التي لا تزيد ( أعلاها ) عن أن تكونَ أقلَّ مِن ( خضراء الدَّمن ) !! بل هي صحيفةٌ تَحْمِلُ ( لواء ) الولاء، لكلِّ صاحبٍ ( بلاء )؛ كحاطبِ اللَّيْلَةِ الظُّلَماءِ !

الرابع : نسألُ المشيوخاءَ والدكاتيرَ : هل أحسنُوا صنْعاً في أنفسهم وفي النَّاسِ - حينَ حاجتِ هائجَتهم، وخَرَجَتِ أصواتُهم، وتسعَّرتِ لهَوَاتهم، ورقَصَتِ قلوبُهم، فوقَ مِنبَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فرحاً، واهتَزَّتِ أجسامُهم طَرَباً على كراسيِّهم العلميَّة - إن كانت !! - وهم يتغامزون بفتوى الشيخ، ويكيلون له بها التَّهم، الواحدةُ تلوَ الأُخرى، ويأخذُها بعضهم عن بعضٍ، من غيرِ أن يكونَ لدى الواحدٍ منهم الشجاعةُ الأدبيَّة - كما يُقال - ليثبتَ أو يبيِّنَ؛ فيتصل بالشيخ هاتفياً - إن كان تُخيفُه لقياه وَجَاهِيّاً - يسأله عن صِدْقِ نسبةِ هذه الفتوى - كما صاغوها وصنعوها - له، أو كذبه !!؟ .

وهل هذا هو الخُلُقُ العلميُّ الذي عرفوه - إن كانوا عَرَفُوهُ ! - من سيرة

رسول الله ﷺ، وسلوك أصحابه، والتابعين وأتباعهم من بعده ؟ إنها والله  
الوائدة، الموضحة، المرقدة !!!

وَمَنْ هَان عَلَيْهِ دِينُهُ هَان عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ، فَلْيَفْرَحُوا بِسَيِّئَاتِهِمُ الْمُتَكَثِّرَةِ،  
وَلْيَبْكُوا حَسَنَاتِهِمُ الْمُتَنَاقِضَةَ !!

ولا أدري ماذا يَفِيدُ منهم تلامذتهم، ومُريدوهم، والمُصَفِّقون لهم، وهم  
على مِثْلِ هذا الخُلُقِ الحانِفِ بهم عن مودَّةِ الإيمانِ وأهله ؟ وهل أحدهم يقدرُ  
على أن يقفَ أمامَ جَبَّارِ السماواتِ والأرضِ يومَ القيامةِ، بوحدةٍ ممَّا ألقى بها إلى  
مِسمعِ النَّاسِ طاعناً دائماً بها الشيخ، فكيف بها مُجتمعة ؟!

ما أرخصَ دينكم عليكم يا هؤلاء ! وما أضلَّ سَغيكم والله ! وما أهونَ  
عليكم حسناتكم، وما أغلى عليكم سيئاتكم !!

الخامس : وليس من شكٍّ - بعد هذا البيان - أنَّ المكابِرَ في الرُّضوخِ لهذا  
الحقِّ الصُّراحِ هو إنسانٌ قد أصابه الخَرْفُ ولو في شَرْخِ شِبابِه (١)، لكنَّه خَرَفُ  
الإنصافِ والتصوُّرِ المستقيمِ !!

وأما الكُبراءُ الكُبراءُ من أساطينِ السُّنَّةِ وعُلماءِ الحديث؛ فلقد شَمِلَهُم  
- بفضلِ اللهِ ومُنَّةِ - دُعاءُ رسولِ اللهِ ﷺ : « نَضَرَ اللهُ امرءً سمعَ مقالتي  
فوعاها، فأذاها كما سَمِعَها .. » وإنَّ رَغَمَتِ أنوفُ الناقدينِ الحاسدينِ الحاقدينِ !  
ومن أعجبِ شيءٍ يكونُ في هؤلاء الناقدينِ أنَّهم مُتعالمون، وعلى رُفَعاءِ  
القَدَرِ مُتطاولون، مَعَ أنَّهم في الجهلِ غارقون ..

وليس أدلّ على ذلك من ذِيَاكَ الْمُتَنَقِّدِ<sup>(١)</sup> الذي يقتبس من قوله تعالى : ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ ... ﴾ معنى يَزْمِي به مَنْ لا يُلْغُ هو ظِلُّهُ ! وهذا اقتباس - منه - يَدُلُّ على مدى ( علم ) هذا الْمُتَنَقِّدِ وحقيقة تعاليمه وتطاوله، حيث إنَّ المنقولَ عن السلف - في تفسير هذه الآية - يُناقضُ تماماً مُرادَ ذاك المُتَطاول، فقد نقل ابنُ الجوزي في تفسيره المسمّى « زاد المسير » ( ٤ / ٤٦٨ ) عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قوله - رضي الله عنه - : « ليس هذا في المسلمين، المسلم لا يزدادُ في طول العُمُر إلا كرامةً عند الله، وعقلاً، ومعرفةً » .

أَمْ أَنَّهُ الْجَهْلُ بِأَشْنَعِ صُورِهِ وَأَبْشَعِهَا !؟

( ١ ) وما كان أحراه - هداه الله - أن يَظَلَّ صامتاً، وقد كان الظنُّ به حسناً إلى

حين ١١

فأقول له : لا أدري لماذا حَشَرْتَ نَفْسَكَ في جُحْرِ الضُّبِّ هذا ١١

وهلَّا رُدُّذْتَ - حَفِظَكَ اللهُ - قولَ القائل :

كُنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُؤْهِنَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْوَةَ الرَّعْلِ

أَمْ أَنَّكَ قَدْ عَزَّ عَلَيْكَ - وهذا أمرٌ نستبعدُه - أَنْ يَبْزُكَ في سُوءِهِ ذاك الأثيم بلسانه، الفقيرُ

بعليه ١٢

وخيرٌ لك - أيُّها الأَخ - أن تَرْجِعَ إلى الحقِّ؛ فتعلنَ توبتك بما اقْتَرَفْتَ على المَلَأِ، فإنَّكَ

قد وَقَعْتَ - فيما وَقَعْتَ - على المَلَأِ ١١ وإلا فإنَّكَ سَتَظَلُّ مُتَسَوِّباً ثوبَ الظلم كأولئك

الخَوَاصِبِينَ، وحينئذٍ انتظر ثمرةَ دُعَاءِ الشَّيْخِ على ظالميه : ( اللَّهُمَّ أَرِنَا ثَارَنَا فِيمَنْ ظَلَمْنَا ) .

﴿ وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ .

السادس : ولعلَّ المشيخاء، أو المشيوخاء، والدَّكاتورة<sup>(١)</sup> !! يظنون إن لم يكونوا يعلمون، أنَّ ( الحبة ) يمكن أن تصير قُبَّة !! وأنَّ ( الحبة ) يمكن أن تُصبح رُجبة !! وأنَّ ( الروضة ) يمكن أن تُمسي رَمضة !!، وإن كانوا - وهم في ظنِّهم أنفسهم الصفوة ( المختارة )، وَوجه « السَّحارة »، والبضاعة الحسنة ( الممتازة ) - قد صنعوا هذا الذي صَنَعُوا، وأصاروا ( الحبة ) قُبَّة، و ( الحبة ) رُجبة، و ( الروضة ) رَمضة، فكيف بمن وراءهم من ( الغمَّار ) - بضَمِّ الغَيْنِ وفَتْحِها -، ممن لا يُفَرِّق بين الفَرَس والحمار، ولا بين سوادِ اللَّيْلِ وضَوءِ النَّهَارِ؟! لقد جرَّأتم - أيُّها السادةُ الأَجَلَاءُ الأَخْلَاءُ - غيرَ المتقين فيما صنعوا ! - العامةُ على أن يكونوا مثلكم !! فَإِنَّ لِلَّهِ ما أَخَذَ وله ما أَبْقَى، ولكلُّ أَجَلٍ كتاب .

السابع : اعلَمُوا - إن لم تكونوا تَعْلَمُونَ، أيُّها المشيخاء والدَّكاتورة - أنَّ الموت قريبٌ، وأنَّ عَذَابَ اللَّهِ إِمَّا غَادٍ إِلَيْهِ أَوْ رَائِحٌ، وأنَّ خَيْرَ الزادِ التقوى، وأنَّ النَّاسَ مَجْمُوعُونَ إِلَيْهِ، واقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، مسؤولون عَمَّا قَدَّمُوا، ليس بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ ولا حاجِبٌ، فَأَنْتَهِدُوا أَنْفُسَكُمْ إِلَى تَوْبَةٍ أَعْرَضْتُمْ عَنْكُمْ بِسوءِ ما تَصْنَعُونَ، وَأَوَّلَتْكُمْ قَفَاها مِنْ شَرِّ ما تَفْعَلُونَ، وَبَرَّتْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَقُولُونَ وتَعْمَلُونَ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ .

( ١ ) وهو جمعٌ مَزْجِيٌّ على غيرِ قِياسٍ، سماعيٌّ مُسْتَحْدَثٌ، - يُلْمِخُ إلى صَنِيعِ الْيَهُودِ، الَّذِينَ حَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ! - أَمَّا الْمَشِيخَاءُ، وَالْمَشِيُوخَاءُ فَجَمْعَانِ صَلِيبيانِ لُغَةً .

الثامن : وخير لكم - أيها ... إلخ ..! - أن تُوقِنُوا أَنَّ ما تُبَيِّنُونَهُ مِنْ مَكْرِ السَّيِّئِ لِلشَّيْخِ مُرَدُّهُ إِلَيْكُمْ، وَأَنَّ شِعَارَ الشَّيْخِ تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْحَكِيمَةُ : « قُلْ كَلِمَتِكَ وَأَمُضْ، فَإِنْ لَمْ تَرَ مَعْنَاهَا أَنْتَ، فَسِيرَاهُ غَيْرُكَ مِنْ بَعْدِكَ » .

وعليه؛ فَإِنَّ هَذَا الصَّخْبَ الْهَائِجَ - ذَا الْكَلَامِ الْمَائِجِ - الَّذِي أَثَارُوهُ مِنْ عَلَى مَنَابِرِهِمْ، وَسَوَّدُوهُ فَوْقَ صَحَائِفِهِمْ؛ سَيَنْعَكُسُ عَلَيْهِمْ، وَتَرْتَدُّ سَهَامُهُ إِلَيْهِمْ، وَيَرْتَكِسُونَ بِهِ فِي أودية الْوَيْلِ وَالْثُّبُورِ ...

أَمَّا عَامَّةُ النَّاسِ فَهِيَ لَهُمْ فُرْصَةٌ غَالِيَةٌ يَتَعَرَّفُونَ فِيهَا إِلَى الشَّيْخِ، وَيَنْظُرُونَ مِنْ خِلَالِهَا تَوَالِيفَهُ وَمُصَنَّفَاتِهِ، وَيَنْهَلُونَ عَيْبَرَهَا عِلْمُهُ وَفُنُونَهُ، بَعْدَ إِذْ سَمِعُوا اسْمَهُ - وَلَوْ بِصُورَةٍ بَتَرَاءٍ مُشَوَّهَةٍ - مِنْ حُصُومِهِ، وَالتَّائِلِينَ مِنْهُ، وَنَاقِدِيهِ !!

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوِيَتْ أَتَاعَ لَهَا لِسَانٌ حَسُودٌ ﴿ وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ .

وَكَلِمَةُ أَخِيرَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا؛ نَقُولُهَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُغْرِقُونَ غَيْرَهُمْ بِالْمِثَالِيَّاتِ (!)، وَيَدْعُونَ سَوَاهِمَ إِلَى ( أدبِ الْحَوَارِ )، ( وَمَعْدَرَةِ الْمُخَالَفِ ) وَ... وَ !!.

فَنَقُولُ : فَلْتَفَرِّضْ - جَدَلًا - أَنَّ فَتَى الشَّيْخِ خَطَأً مَحْضٌ، فَمَا الْحُكْمُ الصَّائِبُ عَلَيْهَا ؟

الْجَوَابُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْ أَيْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ هِيَ ؟! أَمْ مِنْ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِعْتِقَادِ ؟! أَمْ مِنْ مَسَائِلِ الْفَقْهِ وَالْأَحْكَامِ ؟!

وهو جوابٌ يَبِّنُ جَدًّا لِكُلِّ مَنْ شَدَا مِنَ الْعِلْمِ حُرُوفًا .  
 وإذا وَضَحَ ذلك؛ فَإِنَّ ( أَغْلَظَ ) كَلِمَةً يُمَكِّنُ أَنْ تُقَالَ فِي ( أَكْبَرِ ) غَلِطَ  
 مِنْ أَغْلَاطِ الْفَقْهِ وَالْأَحْكَامِ : هَذَا خَطَأً، أَوْ : خِلَافُ الصَّوَابِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ ...  
 أَمَّا ( التَّضْلِيلُ ) وَ ( التَّفْسِيقُ ) وَ ( الْإِتْهَامُ ) فَهِيَ كَلِمَاتٌ لَا يَقْذِفُ  
 حَمَمَهَا إِلَّا جُهْلَاءُ بُلْهَاءَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ شِيمِ الْعُلَمَاءِ، وَلَا مِنْ أَخْلَاقِ<sup>(١)</sup>  
 الْفُقَهَاءِ !

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ  
 فِي ( رَوَعَةِ الْحَقِّ ) مَا يُغْنِيكَ عَنْ ( كَذِبِ )  
 ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ .  
 ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ .  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى النَّبِيِّ الْهَادِي الْمُجْتَبَى .

( ١ ) وَيَجْمَلُ بِنَا - أَخِيرًا - أَنْ نَشْكُرَ لِنَقَرٍ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ فَضْلَهُمْ - وَهُمْ عَدَدٌ قَلِيلٌ  
 مِنَ الْأَسَاتِذَةِ - إِذْ نَاقَشُوا فِتْوَى الشَّيْخِ، وَدَرَسُوهَا، وَأَصْدَرُوا رَأْيًا لَهُمْ فِيهَا؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ رَأْيًا  
 مُخَالَفًا لَهُ؛ لِكَوْنِهِ مَبْنِيًّا عَلَى قُصُورٍ فِي تَصَوُّرِ فُتْيَا الشَّيْخِ وَحَيثِيَّاتِهَا، وَمِنْ قَوَاعِدِ الْعِلْمِ الْمَعْرُوفَةِ :  
 ( الْحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ فَرُغَ مِنْ تَصَوُّرِهِ ) .  
 وَهُمْ - جَزَاهُمُ اللَّهُ خَيْرًا - وَإِنْ خَالَفُوا فِي بَيَانِهِمُ الْمُنْشُورَ لِحُكْمِ الشَّيْخِ وَفُتْيَاهُ، - لِمَا  
 ذَكَرْنَا - فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِمْ فِي مُخَالَفَتِهِمْ هَذِهِ تَثْرِيْبٌ أَوْ غَضَاظَةٌ، إِذْ قِيلَ قَدِيمًا : « الْخِلَافُ لَا  
 يُفْسِدُ لِلوُدِّ قَضِيَّةً » .

وَإِذْ نَحْنُ نَشْكُرُهُمْ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَدْبِهِمْ فِي الْحَوَارِ، وَتَلَطُّفِهِمْ فِي الْبَحْثِ !  
 إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكْنَا الْقَبِيحَ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانًا وَتَفْضِيلًا